الحلقة الثالثة والعشرون

(1) (صيدا.. منزل الشيخ يوسف الأسير.. يصل لتوه من بيروت)
حنيفة: أطلت غيابك يا أبو محمود هذه المرة!
الأسير: أسلمت الي رئاسة تحرير الجريدة الرسمية وغرقـت فـي العمل الى أذني!
حنيفة: (مستبشرة) لك مفاجأة سعيدة يا أبو محمود.. تعال معي وانظر من عندنا! (تقوده من يده الى غرفة فيرى محمود نائما في فراشـه.. تضع حنيفة إصبعها على فمها تطلب منه الصمت)
حنيفة: لا توقظه يا أبو محمود.. انه جريح (تخرج واياه الى غرفـة الإستقبال)
الأسير: متى وصل؟
حنيفة: منذ يومين.. لم يعد من شباب صيدا الذين ذهبوا الى الحـرب الاّ عشرة سالمين كما أخبرتني زوجة رئيس البلدية.. كـان محمـود منهم، ولكنه مصاب بجرح في صدره..
الأسير: هل جرحه خطير؟
حنيفة :انه يتماثل للشفاء..
الأسير: من يعالجه؟
حنيفة: حضر معه صديقه الدكتور الياس خوري وهـو مـن بعثـة الإرسالية الأمريكة الى مصر، زميله كان في كليـة الطـب وزميـل محمد.. التقى بمحمود في الجبهة في نهاية الحرب، حين جرح ونقـل الى مشفى الميدان الذي كان يعمل فيه الدكتور الياس.. أخبرني أنه من قرية بكفيا، وحتى الآن لا يدري أهله بعودته سالما، ولقد بقـي فـي صيدا ، ليشرف على صحة محمود..
الأسير: أين ينزل؟
حنيفة: في منزل أقارب له في صيدا.. يأتي يوميا ليعـاين جرحـه ويغير له.. ولقد حان وقت قدومه (طرق على الباب الخارجي.. يذهب الأسير ليفتح الباب.. تخرج حنيفة وراءه الى غرفتها)
الأسير: حمدا على سلامتك يا دكتورالياس..
د. الياس: يسعدني التعرف اليك، لطالما سمعت عنك وقـرأت لـك أشعارك في الجوائب.. وحتى في الميدان كانت تصلنا نسخ من لسان

الحال، ونقرأ فيها مقالاتك وأشعارك.. ويقرأها الجرحى الذين يفـدون الى مشفانا من العرب..
الأسير: أخبرتني زوجتي أنك من بعثة الدكتور فان ديك الى مصر، وأنك كنت زميلا لمحمود ومحمد في مصر..
د. الياس: أكثر من زميل.. انها صداقة عمـر، ولا تـزال تقـوى وتزيد..
الأسير: بارك الله فيك.. كيف ترى حالة محمود؟
د. الياس: تماثل للشفاء.. كان في حالة خطرة عندما جيء بـه الـى مشفى الميدان.. ولكن بنيته القوية وعناية الله ساعدت علـى تجـاوزه الخطر..
الأسير: أشكر لك عنايتك بمحمود وسهرك عليه!
د. الياس: أفعل ذلك للغريب فكيف بالصديق؟
الأسير: أستغرب كيف اضطروك لمرافقة الجيش والبلد ليس فيها الاّ ندرة من الأطباء!
د. الياس: أنا رافقت الجيش طوعا لأتدرب وأتخصص في الجراحة، بل كان في مشفى الميدان أطباء ألمان وافرنـسيون متطوعـون.. ان خبرتي بالطب الجراحي زادت بفضلهم..
الأسير: هل يؤثر الجرح الذي أصاب محمود على صحته العامة؟
د. الياس: أبدا، سأفك له القطب اليوم.. وسيعود خـلال شـهر الـى نشاطه السابق دون أن يترك الجرح أي أثر على صحته العامة..

(2) (بيروت.. قصر علي باشا.. شهربان تبعث في طلب الـشيخ يوسف الأسير)

شهربان: أنا لا أثق الاّ بك يا عم.. أطلب منك العون فـي المـسائل القانونية التي تتعلق بميراثي في لبنان.. وأرغب ببيع هذا القصر الذي يمتلكه والدي والعودة الى استنبول والعيش هناك مع أولادي..
الأسير: كنت أتمنى لو أخدمك بعيوني.. ولكن لدي مشاغلي الكثيرة.. التدريس في الجامعة الأمريكية، وفي مدرسة "ثلاثة أقمـار" الثانويـة غير عملي في الجريدة الرسمية الى جانـب رئاسـة تحريـر لـسان الحال.. حتى يوم الجمعة لا يكون لي راحـة بـل أكرسـه للإفتـاء والقضاء في شؤون أهل صيدا.. ولكن أدلك على شخص هو أفـضل مني في الحقوق، خريج الأزهر، وأكثر شبابا ليلاحق معاملاتك فـي الإرث، التي تضطره للسفر أيضا الى استنبول لإنجازها..

شهربان: هل يحسن التركية؟
الأسير: التركية والإنجليزية والعربية..
شهربان: ما دمت تثق به فأنا أكون مطمئنة للتعامل معه فمن يكون؟
الأسير: انه إبني محمود..
شهربان: كنت ذكرت أمام أبي مرة أنه يدرس الطب..
الأسير: لم يرق له الطب فتحول في سنته الأخيرة عنه الى دراسة الحقوق في الأزهر، ثم سيق الى الحرب وعاد منها بعد أن انقطعت أخباره..
شهربان: (بفرح) الحمد لله أنه عاد من الحرب سالما!
الأسير: ليس تماما.. انه جريح في صيدا ولكن لن يلبث أن يبرأ من جراحه.. يحتاج الى أقل من شهر لنقاهته، ثم أصطحبه الى بيروت للسكنى معي ومزاولة نشاطه.. وآتي به اليك لتحدثيه بشؤونك!
(2) (مقر الأسير في صحيفة لسان الحال.. يقرأ رسالة تصله من محمد)
والدي العزيز،
مصر لم تعد كما كانت من قبل، بقيت إسما تابعة للباب العالي، أما من يدير شؤونها فهو القنصل البريطاني.. فوجدت أن من الأنسب لي أن أعود الى بلادي لبنان أنا وزوجتي وبنتي ثريا.. ولكن حسن أبى أن يعود الى لبنان قبل أن ينتهي من دراسة الطب.. فلم أشأ أن أخيب أمله، وأسلمته مفتاح شقتي لسكنه ووعدته بتدبير أمور معيشته ومصروفه حين أصل الى لبنان، ولكن في اللحظة الأخيرة وأنا أهيئ حقائبي للسفر، زارني السفير التركي في القاهرة وكنت أطبب له أولاده، وعرض علي السفر الى طرابلس الغرب لأن الباب العالي يريد أن يبدل الوالي التركي فيها بوال عربي يستطيع أن يفهم حاجات البلاد، وأنه استشير في هذا الأمر فعرض إسمي لهذا المنصب.. طبعا قبلت وها أنذا أشحن حقائبي وأستعد للسفر الى هناك وسيحل حسن مكاني، وأرسل اليه من مقري الجديد ما يحتاجه لمعيشته ولدراسته..
الله يكرمنا يا والدي بفضل سمعتك ومآثرك الطيبة في كل مكان.. أقبل يديك ويدي والدتي الحنون والله يحفظكما لنا بطول العمر.
محمد

* * *